التعليم في المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشر قبل الاستقلال: دراسة تاريخية تحليلية

Education in the Thirteen American Colonies Before Independence: A Historical and Analytical Study

أ. د. سمر رحيم نعيمة

Prof. Dr. Samar Raheem Naeema

Al-Mustansiriyah University / College of Arts

الجامعة المستنصرية/ كلية الآداب

الملخص

يدرس هذا البحث بدراسة موضوع التعليم في المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشر قبل الاستقلال. عن طريق تحليل تطور النظام التعليمي في الأقاليم الثلاثة: نيو إنجلاند، والمستعمرات الوسطى، والمستعمرات الجنوبية، في ظل ظروف دينية واجتماعية واقتصادية متباينة. ويُظهر البحث أن التعليم لم يكن متجانساً، بل عكس التنوّع البنيوي والثقافي للمجتمعات الاستعمارية واختلاف أولوياتها وأهدافها.

كان التعليم عاماً ومنظماً في إقليم نيو إنجلاند، إلى حدّ بعيد، مدفوعاً بدوافع دينية وتطهيرية، حيث أنشأت المدارس العامة في وقت مبكر، وشجعت تشريعات مثل "قانون الشيطان العجوز" (OLD DELUDER SATAN ACT) على محو الأمية من أجل تمكين الأفراد من قراءة الكتاب المقدس.

أما في المستعمرات الوسطى، فقد اتسم التعليم بالتعددية الثقافية والدينية، ما أفرز نموذجاً متنوعاً شمل المدارس الطائفية، والخيرية، والخاصة. في المقابل، ظل التعليم في الجنوب محصوراً في طبقة الأرستقراطية، مع اعتماد واسع على التعليم المنزلي وغياب شبه كامل للمدارس العامة، إلى جانب إهمال تعليم العبيد والفقراء.

ناقش البحث دور التعليم في إعداد النخب السياسية والفكرية التي قادت الثورة الأمريكية، موضحاً كيف شكّلت المدارس والجامعات منصات فكرية لنشر قيم التنوير، والسيادة الشعبية، وحقوق الإنسان، مما ساهم في خلق وعي جمعي ممهِّد للاستقلال.

الكلمات المفتاحية(المستعمرات–أمريكا–الولايات المتحدة–الاستقلال–التعليم)

Keywords: Colonies – America – United States – Independence – Education

Abstract

This Research Examines The Topic Of Education In The Thirteen American Colonies Prior To Independence, Analyzing The Development Of Educational Systems Across The Three Colonial Regions—New England, The Middle Colonies, And The Southern Colonies—Within Their Distinct Religious, Social, And Economic Contexts. The Study Reveals That Education Was Far From Uniform; Rather, It Reflected The Structural And Cultural Diversity Of Colonial Societies And The Differing Priorities And Objectives That Shaped Them.

In New England, Education Was Relatively Organized And Public, Driven Largely By Religious And Puritan Motivations. Public Schools Were Established Early On, And Legislation Such As The "Old Deluder Satan Act" Promoted Literacy To Enable Individuals To Read The Bible. In The Middle Colonies, Education Was Marked By Cultural And Religious Pluralism, Resulting In A Diverse Model That Included Denominational, Charitable, And Private Schools. By Contrast, Education In The South Remained Confined To The Aristocracy, Relying Heavily On Home Instruction, With A Near Absence Of Public Schooling And Widespread Neglect Of The Education Of Enslaved People And The Poor.

The Research Also Explores The Role Of Education In Shaping The Political And Intellectual Elites Who Led The American Revolution. It Highlights How Schools And

Colleges Functioned As Platforms For Disseminating Enlightenment Ideals, Popular Sovereignty, And Human Rights, Thereby Fostering A Collective Awareness That Helped Pave The Way For Independence.

المقدمة

يُعَد التعليم أحد أهم العوامل التي ساهمت في تشكيل الهوية الأمريكية المبكرة، اذ شكّل التعليم حجر الزاوية في تطور الوعي السياسي والاجتماعي والثقافي الذي مهّد لاحقاً للثورة الأمريكية والاستقلال عن بريطانيا. إذ ادى دوراً محورياً في نقل القيم الدينية، والثقافية، والاجتماعية، فضلاً عن كونه أداة لتعزيز الانتماء السياسي والفكري. ففي المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشر، لم يكن التعليم مجرد وسيلة لنقل المعرفة، بل كان في كثير من الأحيان وسيلة لضبط الأخلاق، وتأكيد الهيمنة الدينية والاجتماعية، وتحضير الأجيال الجديدة لمواجهة التحديات الاقتصادية والسياسية المقبلة (إبراهيم، 1997، صفحة 24). كما كان مؤسسة أيديولوجية وظيفتها دعم بنية المجتمع الاستعماري وتشكيل الأفراد بما يخدم القوى السياسية والدينية والاقتصادية المسيطرة (Apple M. W., 1979, p. 14).

تكوّنت المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشر بين أوائل القرن السابع عشر ومنتصف القرن الثامن عشر، وكانت تقع على الساحل الشرقي لأمريكا الشمالية. وتأسست هذه المستعمرات لأسباب متعددة، منها الدينية، والسياسية، والاقتصادية. ومع مرور الوقت، طوّرت كل مستعمرة مؤسساتها التعليمية الخاصة التي عكست مصالح وأولويات السكان المحليين.

انقسمت المستعمرات إلى ثلاث مناطق رئيسية: نيو إنجلاند (New England): وهي ماساتشوستس، كونيتيكت، رود آيلاند، ونيوهامشير. اما المستعمرات الوسطى (Middle Colonies): وهي نيويورك، بنسلفانيا، نيوجيرسي، وديلاوير. اما المستعمرات الجنوبية (Southern Colonies): وهي فرجينيا، ماريلاند، كارولاينا الشمالية والجنوبية، وجورجيا.

إن دراسة التعليم في هذه المستعمرات قبل الاستقلال تكشف لنا عن طبيعة الحياة الفكرية والاجتماعية في أمريكا الاستعمارية، كما تتيح لنا فهم الخلفيات التي ساعدت على تشكيل النخب الفكرية والسياسية التي قادت

لاحقًا حركة الاستقلال الأمريكية. وطوّرت كل منطقة من هذه المناطق نمطاً مميزاً من التعليم يتماشى مع خصوصياتها الدينية، والاقتصادية، والاجتماعية.

يرمي هذا البحث إلى تحليل خصائص التعليم في كل منطقة من مناطق المستعمرات الثلاث. والكشف عن العوامل التي أثرت في بنية ونظم التعليم (الدين، الطبقة الاجتماعية، العرق، إلخ). ودراسة المؤسسات التعليمية المبكرة مثل المدارس اللاتينية والجامعات الأولى. وربط نظم التعليم بالمناخ الفكري الذي سبق حركة الاستقلال. وتقديم صورة شاملة للتعليم باعتباره ركيزة من ركائز المجتمع الأمريكي المبكر.

وتعددت أنماط التعليم بين المستعمرات، تبعاً للاختلافات الدينية، والمناخات الثقافية، والهياكل الاقتصادية (إبراهيم، 1997، صفحة 26)، إلا أن هناك انساقاً مشتركة ظهرت بوضوح مع مرور الوقت، وامتدت آثارها إلى ما بعد الاستقلال. ومن المهم أن نلاحظ أن التعليم في هذه المرحلة لم يكن عاماً أو شاملاً لجميع الفئات. فقد ارتبط التعليم بشكل وثيق بالكنائس البروتستانتية، خاصة في الشمال، وكان موجّهاً إلى الذكور البيض من أبناء الطبقة الوسطى والعليا (زيد، 2010، صفحة 17). أما الإناث، والسود، والفقراء، فكان نصيبهم من التعليم محدوداً أو معدوماً، مما ساهم في ترسيخ أنماط من التمييز الطبقي والعرقي لا تزال آثارها قائمة حتى اليوم. وفي إطار تطور الفكر الجمهوري الذي رافق حركة الاستقلال، برزت أهمية التعليم كأداة لبناء الأمة وتشكيل المواطن الصالح، كما نادى بذلك توماس جيفرسون الذي رأى أن "حفظ الحرية يعتمد على تعليم الشعب" (Jefferson, 1818, p. 4). وسيتضح لاحقاً كيف كان التعليم أداة مزدوجة: أداة للتنشئة المحافظة في يد النخب، وأداة للتحرر والتغيير في يد المفكرين الثوريين والمواطنين الطامحين.

سنتناول في هذا البحث القاء الضوء على بداية التعليم في المستعمرات.

أولاً: الخلفية التاريخية للمستعمرات الثلاثة عشر

عاصرت القارة الأمريكية منذ أوائل القرن السابع عشر موجة استيطانية أوروبية تزعمتها بالدرجة الأولى الإمبراطورية البريطانية، التي أقامت مجموعة من المستعمرات على الساحل الشرقي لما يُعرف اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية. وقد وصل عدد هذه المستعمرات ثلاث عشرة مستعمرة، أضحت بعدئذ البذرة التي قامت عليها الثورة الأمريكية ومن ثم الدولة الأمريكية الحديثة. وسنحاول التطرق للتعليم في هذه المستعمرات، والذي لا يمكن

استيعاب اتجاهه بهذه المستعمرات بمعزل عن سياقها التاريخي، السياسي، الديني، والاجتماعي، إذ شكّلت هذه العوامل البيئة الحاضنة التي نشأ فيها التعليم وتطور (Bailyn, 1960, p. 31).

وتنقسم المستعمرات الثلاثة عشر إلى ثلاث مناطق رئيسية:

مستعمرات نيو إنجلاند: ماساتشوستس، نيو هامبشاير، رود آيلاند، وكونيتيكت.

المستعمرات الوسطى: نيويورك، نيوجيرسي، بنسلفانيا، وديلاوير.

المستعمرات الجنوبية: ماريلاند، فيرجينيا، كارولاينا الشمالية، كارولاينا الجنوبية، وجورجيا.

لكل من هذه المناطق سمات جغرافية ومناخية واقتصادية وديموغرافية أثّرت بعمق في أساليب التعليم ونظمه. فبينما ركّزت مستعمرات الشمال على التعليم العام والديني، تباينت الممارسات التعليمية في المستعمرات الوسطى والجنوبية تبعًا لتنوعها الإثني والديني والطبقي (Cremin, 1970, p. 45).

- البنية السكانية والاجتماعية و الخلفية السياسية والقانونية

تألف سكان المستعمرات من مزيج من الإنجليز، الهولنديين، الألمان، السويديين، والفرنسيين، بالإضافة إلى السكان الأصليين والأفارقة المستعبدين. هذا الخليط خلق تنوعًا ثقافيًا أثر في طبيعة التعليم، حيث ادت اللغة، الدين، والمعتقدات دورًا في تحديد المناهج وطرق التعليم (Butler, 2000, p. 19).

كما أن الطبقية الاجتماعية، لا سيما في الجنوب حيث كانت الأرستقراطية الزراعية مهيمنة، شكلت عائقًا أمام تطوير التعليم العام. بالمقابل، أسهمت النزعة البروتستانتية بالشمال في تعزيز فكرة التعليم كضرورة دينية واجتماعية (Kaestle, 1983, p. 44).

لم تكن المستعمرات موحدة سياسيًا، إذ كانت كل مستعمرة تخضع لنظام إداري مختلف، ما بين الملكية المباشرة أو الحكم الذاتي أو الاستئجار من التاج البريطاني. وقد انعكس هذا التنوع السياسي في القوانين التعليمية، حيث سنّت بعض المستعمرات تشريعات مبكرة الزمت بإنشاء المدارس، بينما تركت أخرى الأمر للمبادرات الفردية أو الدينية (Labaree, 1988, p. 24).

ومن أبرز هذه التشريعات قانون ماساتشوستس لعام 1647، المعروف بـ "قانون إبليس القديم Deluder Satan Act"، والذي ألزم البلدات التي يتجاوز عدد سكانها خمسين شخصًا بإنشاء مدرسة لتعليم القراءة والكتابة (Reese, 2005, p. 35).

اذ كانت قوانين المدارس في ماساتشوستس عبارة عن ثلاثة قوانين تشريعية صدرت في الأعوام 1642 و1647 و1648. وأشهرها هو قانون عام 1647، والمعروف أيضًا باسم قانون ديلودر الشيطان القديم (نسبة إلى الجملة الأولى من القانون) يعتبر هذا القانون مع القانون الذي سبقه 1642 بأنهم الخطوة التاريخية الأولى نحو التعليم العام الإلزامي الموجه من الحكومة في المستعمرات. وبعد فترة وجيزة من صدورها، سُنّت قوانين مماثلة في مستعمرات نيو إنجلاند الأخرى (Altenbaugh, 1999, p. 30).

كان القانون واحداً من سلسلة من القوانين التشريعية الموجهة للتعليم العام في المستعمرة. اذ أقرت ولاية ماساتشوستس قانون عام 1647، واضعين بذلك الأساس للمدارس العامة في أمريكا. كان البيوريتانيون يقدّرون قيمة محو الأمية تقديرًا كبيرًا، فقد كانوا يؤمنون أن جميع الأفراد يجب أن يكونوا قادرين على قراءة وتفسير الكتاب المقدس بأنفسهم. في عام 1642 طلبت ولاية ماساتشوستس من الآباء والأمهات التأكد من قدرة أطفالهم على القراءة، وبعد خمس سنوات، في هذا القانون، فرضت الولاية التعليم المجتمعي (Gutek, 1970, p. 43).

كان الأساس الديني لهذا القانون واضحًا: فقد نص القانون على أن القصد منه هو إحباط الشيطان المضلل في تنفيذ هدفه لإبعاد الناس عن معرفة الكتاب المقدس (Altenbaugh, 1999, p. 30). ولمواجهة اهداف الشيطان واحباطه في تنفيذها، ألزم القانون كل بلدة تضم 50 عائلة أو أكثر بتوظيف معلم لتعليم جميع الأطفال القراءة والكتابة. كما طُلب من البلدات التي تضم 100 عائلة أو أكثر أن تدعم مدرسة نحوية لإعداد الطلاب للالتحاق بكلية هارفارد. وسرعان ما تم اعتماد قوانين مماثلة في مستعمرات نيو إنجلاند الأخرى، باستثناء رود آيلاند (Gutek, 1970, p. 44).

وقد أرسى القانون عدة مبادئ لا يزال التعليم الابتدائي والثانوي العام يرتكز عليها حتى اليوم: أن التعليم الأساسي مسؤولية عامة أو مجتمعية، وأن الدولة يمكن أن تطلب من المجتمعات المحلية جمع الأموال المحلية وإنفاقها على المدارس، وأن المسؤولية اليومية عن تشغيل المدارس تقع على المستوى المحلي، وأن المدارس يجب أن تنظم في مستويات تفصل بين التعليم الابتدائي والثانوي (Leinwand, 1992, p. 30).

قد تساعد الأصول الدينية للقوانين التي تنص على التعليم في أمريكا في وقت مبكر في تفسير بعض النزاعات التي نشأت لاحقًا عندما أبطلت المحاكم، تطبيقًا لبند المؤسسة في التعديل الأول، ممارسة الشعائر الدينية التعبدية في المدارس العامة.

ثانياً: التعليم في مستعمرات نيو إنجلاند

أدى التأثير الديني الكبير للمستعمرين البروتستانتيين، وخاصة البيوريتانيين (Puritans) (مذهب او حركة إصلاح ديني سعت في القرنين السادس عشر والسابع عشر لتطهير كنيسة إنجلترا من الممارسات الكاثوليكية الرومانية التي ادعوا أنها بقيت بعد التسوية الدينية التي تم التوصل إليها في أوائل عهد الملكة إليزابيث الأولى (إبراهيم، 1997، صفحة 33). اشتهر البيوريتانيون في القرن السابع عشر بروح الجدية الأخلاقية والدينية التي أثرت على أسلوب حياتهم كله، وسعوا من خلال إصلاح الكنيسة إلى جعل أسلوب حياتهم نمطًا للأمة كلها. وقد ساهمت جهودهم في تأسيس المستعمرات في أمريكا كنماذج عملية لأسلوب الحياة البيوريتاني) cliffe, 2002,) (pp. 12–13، إلى التركيز على تعليم الأطفال القراءة والكتابة بهدف فهم الكتاب المقدس. ودارت أولويات التعليم حول تحصين الأطفال ضد الفتن الدينية عبر تزويدهم بالقدرة على القراءة والفهم المباشر للنصوص الدينية، وهو ما انعكس في طبيعة المدارس الأولى في المستعمرات (Cremin, 1970, p. 46).

وتُعد مستعمرات نيو إنجلاند من أولى المستوطنات الإنجليزية وأكثرها التزامًا بالتعليم الرسمي والديني (زيد، 2010، صفحة 27). وقد تأسست هذه المستعمرات على أيدي جماعات بروتستانتية كالبيوريتانيين هربت من الاضطهاد الديني في أوروبا، ما جعل التعليم بالنسبة لهم وسيلة لفهم الكتاب المقدس وتحقيق غايات دينية واجتماعية (Cremin, 1970, p. 46).

اعتمدت المجتمعات هناك على التعليم كجزء من الهوية الجمعية، وسعت إلى تعميمه بين جميع الأفراد، مع التشديد على محو الأمية بوصفها ضرورة دينية (Bailyn, 1960, p. 33).

كان التعليم في نيو إنجلاند متداخلاً تمامًا مع الدين البروتستانتي، خصوصًا البيوريتاري. كان الهدف الرئيسي من التعليم هو تمكين الأفراد من قراءة الكتاب المقدس، وارتبطت المناهج الدراسية الأولى ارتباطًا وثيقًا بالنصوص الدينية (Hall, 1990, p. 27).

وأشهر الأمثلة على ذلك كتاب نيو انجلاند التمهيدي (The New England Primer)(أول وأشهر كتاب تمهيدي صمم لتعليم القراءة في المستعمرات) (Monaghan, 2005, p. 12)، والذي استخدم لتعليم الأطفال القراءة والكتابة، ويتضمن نصوصًا من الكتاب المقدس وأدعية ومواعظ دينية (Monaghan, 2005, p. 12).

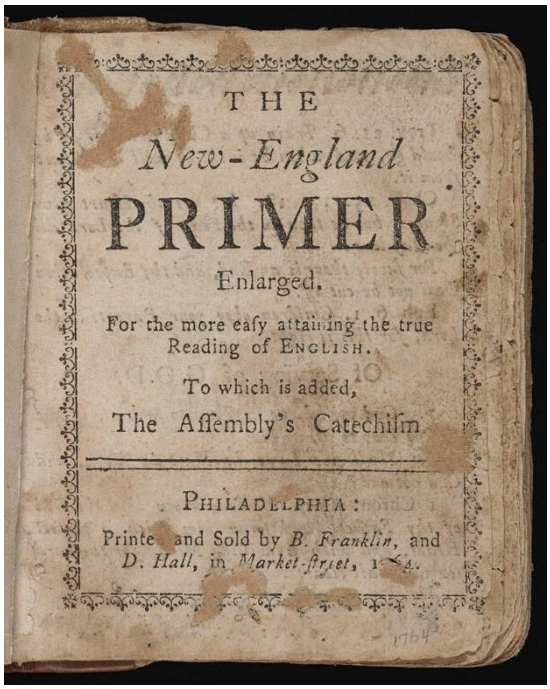
THE
New-England
PRIMER
Enlarged,
For the more eafy attaining the true Reading of ENGLISH.
To which is added,
The Aſſembly's Catechiſm.
PHILADELPHIA:
Printed and Sold by *B. Franklin*, and *D. Hall*, in *Market-ſtreet*, 1764.

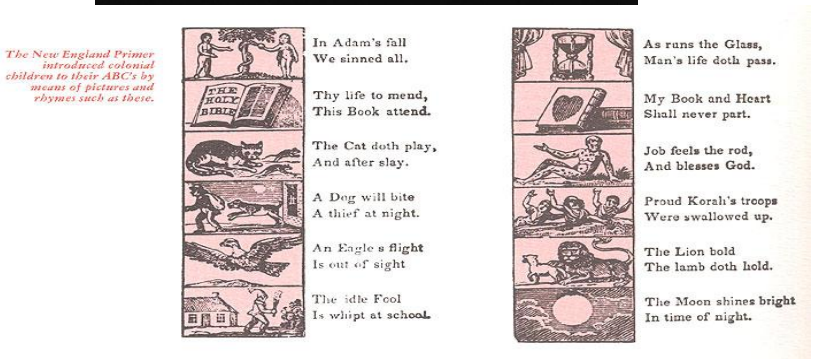

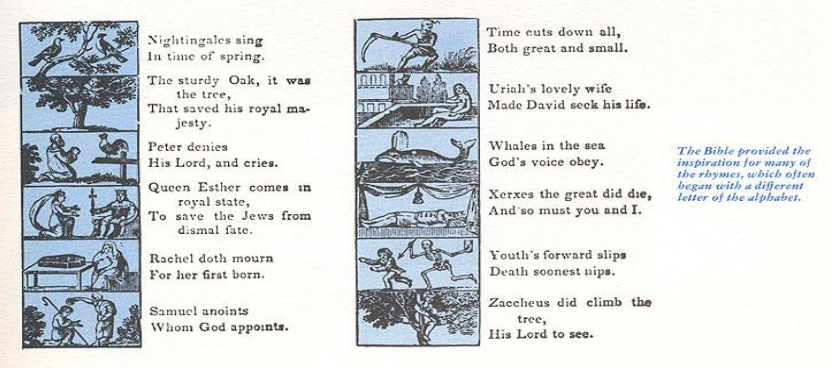

صور من غلاف وصفحات كتاب نيو انجلاند التمهيدي (The New England Primer: Twentieth Century Reprint, 1901)

جدير بالذكر، انه إلى جانب التعليم الأولي، برزت المدارس النحوية (Grammar Schools)، التي ركزت على تدريس اللاتينية واليونانية، تمهيدًا لدخول الجامعات. وكانت هذه المدارس تُعِد الطلبة للالتحاق بالمؤسسات العليا مثل جامعة هارفارد (Harvard University)، التي أُسست عام 1636 في ماساتشوستس (Rudolph, 1990, p. 38).

وقد تطورت هذه المدارس تدريجيًا، وأصبحت تُدار غالبًا من قبل المجتمعات المحلية أو الكنائس. وقد سُمّي بعضها بأسماء رجال دين بارزين أو ممولين أثرياء.

- القوانين التعليمية المبكرة والمدارس الأولى بعد قانون التعليم والإلزام

سنّت مستعمرات نيو إنجلاند قوانين تُعد من أقدم التشريعات التعليمية في أمريكا الشمالية، كما أصدرت ماساتشوستس قانون عام 1647 كما ذكرنا سابقاً الذي أُلزم إنشاء مدارس في البلدات ذات الكثافة السكانية المعينة، كما أصدرت كونيتيكت ورود آيلاند قوانين مشابهة لاحقًا، رغم تفاوت في درجة الالتزام والتنفيذ. وقد ساهم هذا الإطار التشريعي في رفع نسب محو الأمية مقارنة بباقي المستعمرات (Reese, 2005, p. 41).

ومن اهم المدارس التي تم إنشاؤها هي

مدرسة بوسطن (Boston Latin School): التي تأسست عام 1635، وتعد أقدم مدرسة عامة في الولايات المتحدة. كان الهدف الرئيسي منها تعليم الأولاد اللاتينية، وهي اللغة الأساسية في التعليم الأكاديمي وقتها، فضلاً

عن تعليمها الفلسفة، الأدب، والمنطق. كانت هذه المدرسة نموذجًا للمدارس الثانوية التي كانت تركز على تعليم الطلاب ليتمكنوا من الالتحاق بالجامعات مثل جامعة هارفارد (Morison, 1936, p. 45).

مدرسة ييل الثانوية (Yale Secondary School): والتي تأسيست 1701 في (نيو هافن)، ولاية كونيتيكت. على الرغم من أن ييل كانت في الأصل مدرسة ثانوية، إلا أنها تطورت لتصبح جامعة. هدفت إلى تدريب الطلاب على الفلسفة الكلاسيكية واللغات اللاتينية واليونانية، مثلما كان الحال في مدرسة بوسطن (Pearson, 2004, p. 112).

اما مدرسة فيلادلفيا (Philadelphia Academy): التي تأسست عام 1740 تحت إشراف بنجامين فرانكلين (Benjamin Franklin)، فهي تعد واحدة من أوائل المدارس التي قدمت تعليمًا غير ديني ومعتمدًا على الفلسفة العلمية. وكانت أول مدرسة أمريكية ركزت على تعليم العلوم التجريبية. في عام 1755 تحولت إلى جامعة بنسلفانيا (Reich R. , 2011, p. 230).

ومما يجب ذكره، دور الكنيسة في التعليم، لأنها كانت تمثل سلطة كبيرة في المستعمرات، فكان لها دور في تحديد المناهج الدراسية وإدارة المدارس. خاصة ان التعليم في البداية كان يُدار من قبل رجال الدين، الذين كانوا يشرفون على المدارس الابتدائية والثانوية. وركزت هذه المدارس بشكل كبير على تعليم العقيدة المسيحية، وهدفت لتعزيز الانضباط الأخلاقي والديني بين الطلاب. الهدف الرئيسي من هذه المدارس هو ضمان أن يكون كل فرد في المجتمع متعلمًا بما يكفي لفهم الكتاب المقدس (Pearson, 2004, p. 124). وبعد ذلك نما وتطور التعليم، وبدء المجتمع بالسعي للحصول على التعليم العالي، فبدأ بأنشاء الجامعات ومن اوائل الجامعات التي انشأت هي جامعة هارفارد عام 1636 في ولاية ماساتشوستس، والتي هدفت في البداية لتدريب رجال الدين، وركزت على دراسة اللغات الكلاسيكية والدين. ولكن مع مرور الوقت، توسع نطاق التعليم فيها ليشمل مجالات أخرى مثل الفلسفة، الرياضيات، والعلوم (Morison, 1936, p. 105).

أما جامعة ييل، أُنشأت عام 1701 في ولاية كونيتيكت. كان هدفها في البداية مشابهًا لهارفارد، حيث ركزت على تدريب رجال الدين، لكنها سرعان ما تحولت إلى مؤسسة تعليمية تقدم تعليمًا أكاديميًا في مجالات متنوعة مثل الفلسفة، السياسة، والعلوم (Reich R. , 2011, p. 150).

وجدير بالذكر، كان التعليم في نيو إنجلاند ذا طابع مجتمعي بارز. إذ إنّ الأهالي كانوا يشاركون في تمويل المدارس، واختيار المعلمين، ومراقبة المناهج. اذ كان هناك شعور بالمسؤولية الجماعية تجاه التعليم، الأمر الذي عزز من فاعليته وانتشاره (Kaestle, 1983, p. 77).

وبحلول القرن الثامن عشر، بدأ التعليم في مستعمرات نيو إنجلاند يشهد تطورًا في هيكليته. وبدأت المدارس تتوسع لتشمل المزيد من الطبقات الاجتماعية، حيث تم تأسيس العديد من مدارس الكتابة والحساب التي استهدفت الطبقات العاملة. كان هناك أيضًا اهتمام متزايد بتعليم المدنيين، حيث بدأت المدارس في تدريس مواضيع مثل التاريخ والجغرافيا والفلسفة. وتطور التعليم بهذا الشكل مما عزز الوعي السياسي والديمقراطي في المستعمرات (Hall, 1990, p. 43).

ويمكن القول، إن مستعمرات نيو إنجلاند كانت في طليعة تطوير التعليم في العالم الجديد. ومن خلال إنشاء مدارس ابتدائية وثانوية وجامعات مثل هارفارد ويل، التي أسهمت في وضع الأسس للنظام التعليمي في الولايات المتحدة الأمريكية. وان التطورات التي شهدتها هذه المدارس جعلت التعليم في المنطقة نمطًا يُحتذى به، وأدى إلى تأثير كبير على باقي الولايات في تشكيل التعليم في الولايات المتحدة.

اما بالنسبة للتعليم المهني فقد اولت المستعمرات الشمالية اهتماماً كبيراً في هذا الجانب، اذ أصدرت المحكمة العامة لخليج ماساتشوستس في عام ١٦٤٢، توجيهاتٍ إلى أعضاء المجلس البلدي بالتأكد على التزام العوائل بالحرص على تعليم ابنائهم تعليماً سليماً الى جانب سقل مهارتهم في مهنة او حرفة. ونصّ القانون على أنه لا ينبغي فقط إعداد الأطفال للعمل في المستقبل، بل ينبغي أيضًا تعليمهم "قراءة وفهم مبادئ وقوانين رأس المال في البلاد". وقد يُغرّم الآباء والمعلمون المُهملون، ومُنح أعضاء المجلس البلدي صلاحية أخذ متدربين وأطفال فقراء من عائلات غير قادرة على الوفاء بمسؤولياتها تجاههم. اتبعت مستعمرات نيو إنجلاند الأخرى مثال خليج ماساتشوستس وأصدرت تشريعات مماثلة: كونيتيكت في عام 1650، ونيو هافن في عام 1655، وبليموث في عام 1671 (Reese, 2005, p. 66).

لقد تميز التعليم في مستعمرات نيو إنجلاند بكونه منظمًا، دينياً الطابع، ومجتمعي التوجه. وقد ساهمت هذه الخصائص في جعل هذه المنطقة من أكثر المناطق تقدمًا من حيث التعليم خلال الحقبة الاستعمارية.

ثالثاً: التعليم في المستعمرات الوسطى

تُعد الولايات الوسطى جزءًا محوريًا في تطور التعليم في المستعمرات الأمريكية، حيث تميزت هذه المنطقة بالتنوع العرقي والديني. وتتمثل أبرز مستعمرات الولايات الوسطى في بنسلفانيا، نيويورك، نيوجيرسي، وديلاوير، وكان لكل منها تأثير في تشكيل النظام التعليمي الذي نما تدريجيًا خلال هذه المدة.

امتازت المستعمرات الوسطى بتنوعها الثقافي والديني الكبير مقارنةً بنيو إنجلاند. فقد سكن هذه المستعمرات مهاجرون من أصول هولندية، ألمانية، سويدية، وإنجليزية، بالإضافة إلى جماعات دينية متعددة كالكويكرز، اللوثريين، الكاثوليك، والهوجوينوت الفرنسيين (Smith, 1990, p. 18).

هذا التنوع خلق بيئة أكثر تسامحًا دينيًا، وأدى إلى بروز نظم تعليمية متعددة تعكس الخلفيات الثقافية والدينية لسكان المنطقة. لم يكن هناك نظام تعليمي موحد، بل كانت هناك مدارس خاصة وجماعية أنشأتها الطوائف المختلفة (Nash, Quakers and Politics: Pennsylvania 1681–1726, 1968, p. 27).

كان لكل طائفة دينية مدارسها التي تُدرّس بلغتها الخاصة. على سبيل المثال، أنشأ اللوثريون مدارس باللغة الألمانية، وكانت المدارس اللوثرية والتعليم اللوثري أولوية بالنسبة للوثريين الذين هاجروا من ألمانيا والدول الاسكندنافية. وكان من أوائل ما فعلوه هو إنشاء مدارس لأبنائهم. وقد ورثوا هذا التقليد التعليمي القوي من مارتن لوثر نفسه. أقدم مدرسة تعمل باستمرار في الولايات المتحدة هي مدرسة القديس ماثيو اللوثرية في مانهاتن. وقد بدأت في عام 1752 ولا تزال تعمل من مرحلة ما قبل المدرسة حتى الصف الثامن. وهذا لا يعني انهم لم يكونوا يعلموا ابنائهم قبل ذلك، بل كانوا يتلقون التعليم في الكنائس (Nash, Quakers and Politics: Pennsylvania 1681–1726, 1968, p. 29).

وركز الكويكرز على تعليم القراءة والكتابة والأخلاق، لكن دون التركيز على العقيدة الدينية الصارمة (BTolles, 1948, p. 39). اذ أنشأ ويليام بن اول مدرسة في المستعمرة عام 1689، مدرسة ويليام بن المستأجرة في فيلادلفيا، وهي أول مدرسة كويكر في أمريكا. وقد عكست المدرسة منذ أيامها الأولى قيم الكويكرز المتمثلة في سهولة الوصول والمساواة، قدمت هذه المدرسة منحًا دراسية للطلاب الفقراء في عام 1701، ورحبت بالفتيات في عام 1754، وفتحت أبوابها للجميع بحلول عام 1770. وعلى عموم الساحل الشرقي، أنشأت اجتماعات الكويكرز مدارس لأبنائهم، وغالبًا ما كان ذلك في ملاحق لدور اجتماعاتهم (Nash, Quakers and Politics: Pennsylvania 1681–1726, 1968, p. 29).

مولت هذه المدارس عادةً من الطائفة ذاتها، وقام بالتدريس فيها رجال دين أو أعضاء متعلمون من المجتمع المحلي (Nash, Quakers and Politics: Pennsylvania 1681–1726, 1968, p. 30).

اعتمد التعليم في الولايات الوسطى بشكل رئيسي على العائلات والكنائس. كانت المدارس في هذه الفترة نادرة، وغالبًا ما ديرت من قبل رجال الدين أو المعلمين المستقلين الذين كانوا يقدمون التعليم الأساسي مثل القراءة والكتابة. في المناطق الريفية، كان غالبًا ما يتم تعليم الأطفال في المنازل (BTolles, 1948, p. 41).

اما في مستعمرات مثل بنسلفانيا، كانت الكنائس البروتستانتية تشرف على بعض المدارس الابتدائية. ولكن على عكس مستعمرات نيو إنجلاند التي كان فيها التعليم دينيًا بشكل صارم، كانت مستعمرات الولايات الوسطى أكثر تعددية من الناحية الدينية، مما سمح بتنوع الأساليب التعليمية (Nash, Quakers and Politics: Pennsylvania 1681–1726, 1968, p. 33).

ومن اوائل المدارس التي اسست في المستعمرات الوسطى هي:

أكاديمية فيلادلفيا (Philadelphia Academy): تأسست عام 1740 تحت إشراف بنجامين فرانكلين، وهدفت لتقديم تعليم غير ديني يتجاوز التركيز التقليدي على الدين. كانت الأكاديمية أولى المؤسسات التعليمية التي قدمت مناهج دراسية شملت العلوم الطبيعية، والرياضيات، وأدب الكتابة، بالإضافة إلى المواضيع التقليدية مثل الفلسفة الكلاسيكية (Green, 2009, p. 115).

اما نيويورك فقد ركز نظام المدارس العامة في نيويورك (New York's Public School System)، في بداية تأسسيه على تعليم القراءة والكتابة الأساسية، لكن مع مرور الوقت، بدأ الاهتمام يتزايد بتعليم العلوم والفلسفة. في عام 1698، تم تأسيس أول مدرسة عامة في نيويورك، وكانت تُعنى أساسًا بتعليم الأطفال الذين ينتمون إلى الطبقات العليا (Snyder, 2015, p. 72).

ونما وتطور التعليم بمستوياته كافة، ومنه التعليم الجامعي، والذي على الرغم من أنه بدأ متأخرًا في الولايات الوسطى مقارنة بمستعمرات نيو إنجلاند، إلا أن بعض الجامعات التي أسست في تلك المدة كان لها تأثير كبير في تشكيل النظام الأكاديمي الأمريكي.

ومنها جامعة بنسلفانيا: التي تأسست عام 1740 على يد بنجامين فرانكلين. وكانت هذه الجامعة واحدة من أولى الجامعات التي ركزت على التعليم المدني والعلمي، واختلفت عن الجامعات التي كانت ركزت في البداية على تدريب رجال الدين. وأصبحت لاحقاً واحدة من أبرز الجامعات في الولايات المتحدة الامريكية التي تقدم مجموعة واسعة من التخصصات الأكاديمية، بدءًا من الفلسفة وحتى العلوم التجريبية (Reich R. A., 2011, p. 34).

جامعة برينستون: التي تأسست عام 1746 في ولاية نيو جيرسي، وهدفت أيضًا في البداية إلى تدريب رجال الدين، ولكنها تطورت لتصبح جامعة تقدم تعليمًا في مختلف المجالات الأكاديمية (Fisher, 2010, p. 201).

اما المدن مثل فيلادلفيا ونيويورك والتي عدت مراكز حضرية نشطة فقد ضمت مدارس متنوعة ومكتبات ومراكز ثقافية. وكانت فيلادلفيا تحديدًا موطنًا لحركة تنويرية نشطة شجعها بنجامين فرانكلين، الذي أسهم في إنشاء أكاديمية فيلادلفيا عام 1755، والتي جمعت بين التعليم الكلاسيكي والمهني (Brands, 2000, p. 54).

اما التعليم المهني والعملي فقد تميزت المستعمرات الوسطى بتركيزها على التعليم العملي والمهني، إذ ازدهرت فيها أنظمة التدريب المهني (apprenticeship) التي كانت شائعة بين الحرفيين والتجار. وكان هذا الشكل من التعليم يحظى بتقدير عالٍ، لكونه يجهّز الشباب لسوق العمل مباشرةً (Lemisch, 1968, p. 64).

رغم التعدد والتنوع، واجه التعليم في هذه المستعمرات تحديات تعلقت بعدم وجود سلطة مركزية تنظم التعليم، واختلاف اللغات، وتفاوت الاهتمام بالتعليم بين الطوائف. كما أن بعض الجماعات، خاصة من أصول فقيرة أو من الأقليات، لم تكن تملك موارد كافية لإنشاء مدارس (Green, 2009, p. 119).

وايضاً كان للدين في الولايات الوسطى، تأثير كبير على التعليم، لكنه كان أقل مركزية مما كان عليه في مستعمرات نيو إنجلاند. وفي بعض المناطق مثل بنسلفانيا، كان النظام التعليمي أكثر تسامحًا، حيث كانت المجتمعات اليهودية والهولندية والألمانية تشرف على مدارس خاصة بأبنائها. كما كانت المدارس التي أسسها البروتستانت تقدم تعليمًا دينيًا، ولكن دون فرض دين واحد على الجميع (Snyder, 2015, p. 77).

وفي منتصف القرن الثامن عشر، بدأت بعض الولايات الوسطى في إنشاء المدارس العامة، التي هدفت لتعليم جميع الأطفال، بغض النظر عن خلفيتهم الاجتماعية أو الدينية. تم تأسيس مدارس ابتدائية في العديد من المناطق الحضرية مثل فيلادلفيا ونيويورك، ومع تطور هذه المدارس، بدأ التعليم يصبح أكثر شمولًا ويشمل مواد مثل الحساب، والجغرافيا، والعلوم الطبيعية (Green, 2009, p. 119).

في عام 1800، بدأت العديد من الولايات الوسطى في تبني فكرة المدارس العامة التي تتيح التعليم للجميع، بما في ذلك الطبقات العاملة (Snyder, 2015, p. 80).

وجدير بالذكر، ان التعليم في الولايات الوسطى ساهم في تشكيل الأسس التي بني عليها نظام التعليم في الولايات المتحدة. من خلال إنشاء مدارس أكاديمية مثل أكاديمية فيلادلفيا، أو جامعة بنسلفانيا، وضع المستعمرون

الأوائل في هذه المنطقة الأسس لمؤسسات تعليمية ادت دورًا كبيرًا في تطوير النظام التعليمي الأمريكي في القرن التاسع عشر (Green, 2009, p. 120).

كان التعليم في المستعمرات الوسطى انعكاسًا لتنوعها الديني والثقافي. ومع أنه لم يكن منتظمًا كالتعليم في نيو إنجلاند، إلا أنه أفسح المجال أمام أشكال متعددة من التعليم، بما في ذلك التعليم العملي والتجاري. في الفصل التالي، سنتناول تجربة التعليم في المستعمرات الجنوبية، التي تأثرت بالعوامل الطبقية والاقتصادية.

رابعاً: التعليم في المستعمرات الجنوبية

تختلف المستعمرات الجنوبية (مثل فيرجينيا، كارولينا الجنوبية، كارولينا الشمالية، ماريلاند وجورجيا) عن مستعمرات نيو إنجلاند والولايات الوسطى من حيث البنية الاجتماعية والاقتصادية والتعليمية. في البداية، كان التعليم في الجنوب مقتصرًا على الطبقات العليا، ولم يكن متاحًا بشكل واسع لبقية السكان، خاصة في المناطق الريفية.

وكان التعليم في فيرجينيا وكارولينا الجنوبية، في البداية محدودًا للغاية واعتمد على العائلات الغنية التي كانت تستطيع دفع تكاليف التعليم. وكانت العائلات الثرية ترسل أبناءها إلى إنجلترا للحصول على تعليم أكاديمي، حيث كانت المدارس في إنجلترا تقدم تعليمًا رسميًا يركز على الفلسفة، اللغات، والدين.

وفي تلك المدة، كانت مدارس النظام العام نادرة جدًا، وكانت موجودة فقط في المدن الكبرى. أما في المناطق الريفية، فقد كان التعليم يتم في المنزل، من خلال معلمين خاصين أو مربيات.

ومع هذا، فقد انشأت عدة مدارس منها:

مدرسة جيمس تاون في فيرجينيا (James Town School): وكانت واحدة من أولى المدارس التي تم تأسيسها في ولاية فيرجينيا عام 1635. ومع ذلك، ركزت هذه المدرسة على تعليم الأطفال من الطبقات العليا، ولم تكن مدارس عامة متاحة بشكل واسع (Breen, 1980, p. 45).

ومدرسة هاريس في كارولينا الجنوبية (The Harris School, South Carolina): التي تأسست عام 1723 ركزت على تعليم الأطفال من الأسر الثرية، تضمنت مواضيع مثل اللاتينية والرياضيات (Henderson,

(2003, p. 112). لكن مع هذا نما وتطور التعليم وصولاً للجامعات، وفي حين كان التعليم المدرسي في المستعمرات الجنوبية محدودًا، كانت هناك محاولات لإنشاء مؤسسات تعليمية عالية المستوى لتعليم رجال الدين والنخبة الاجتماعية. ومن أبرز هذه الجامعات: جامعة ويليام وماري (College of William & Mary): التي تأسست عام 1693 في ولاية فيرجينيا، وتعد ثاني أقدم جامعة في الولايات المتحدة بعد جامعة هارفارد وفي البداية، هدفت إلى تدريب رجال الدين البروتستانت، ولكن سرعان ما توسعت لتشمل مجالات أكاديمية أخرى مثل الفلسفة والعلوم الطبيعية (Henderson, 2003, p. 112).

وكذلك جامعة كارولينا (University of North Carolina): التي تأسست عام 1795، مثلت تطورًا في التعليم العالي في المنطقة الجنوبية، وركزت على تعليم الطبقات العليا وتدريب الطلاب في مجموعة واسعة من المجالات الأكاديمية (Gilmore, 2007, p. 120).

كذلك لا يينكر دور الكنيسة في التعليم بالمستعمرات الجنوبية، اذ ادى الدين دورًا كبيرًا في التعليم، على الرغم من أنه كان أقل تنظيماً مقارنة بنيو إنجلاند. وكانت العديد من المدارس تُدار من قبل الكنائس البروتستانتية أو تُدرس داخل الكنائس نفسها. وركزت هذه المدارس على تعليم الأطفال الدين والمهارات الأساسية مثل القراءة والكتابة. ففي ولاية فيرجينيا، على سبيل المثال، كانت الكنيسة الأنغليكانية تُقدم تعليمًا للأطفال في المدن الكبرى (Bailyn, 1960, p. 77).

ومع مرور الوقت، بدأ تعليم الأطفال يخرج عن نطاق الدين ليشمل مواد أكاديمية أخرى، ولكن بقيت هذه المدارس مقتصرة على الطبقات الثرية.

وعلى الرغم من ان المجتمع الجنوبي اعتمد بشكل كبير على الزراعة، مما أثر في نظام التعليم، وكان الأطفال في المناطق الريفية يُطلب منهم العمل في مزارع التبغ والقطن، وبالتالي لم يكن لديهم وقت أو فرصة للذهاب إلى المدارس. في المقابل، كانت المدارس موجودة في المدن الكبرى ولكن لم تكن متاحة للجميع. لكن مع بداية القرن التاسع عشر، بدأ التعليم في المستعمرات الجنوبية يتحسن تدريجيًا، ولكن ظلت المدارس العامة نادرة. وكان التعليم في المناطق الحضرية فقط متاحًا بشكل واسع، بينما في المناطق الريفية كان محدودًا للغاية. كانت مدارس الطبقات الدنيا لا تزال غير موجودة بشكل كبير (Hall, 1990, p. 70).

اما التعليم المهني فأن المستعمرات الجنوبية اولته اهتماماً اكبر من اي مستعمرات اخرى، خاصة مستعمرة فرجينيا، فمنذ عام ١٦٤٣، أصدرت فرجينيا أول قانون للتدريب المهني. سعى هذا القانون إلى حماية الأيتام، الذين كثر عددهم بسبب بيئة تشيسابيك الوبائية، وصدر عام 1672 قانون التلمذة الصناعية الذي جعل قضاة المقاطعة

مسؤولين عن رعاية الأطفال الفقراء ووتعليمهم تعليماً مهنياً (Davies, 1956, p. 34)، وفي عام 1688 صدر تشريع في ماريلاند نص على تعليم الأيتام إذا استطاعوا تحمل تكاليفه، وإن لم يستطيعوا، فيُلزمون بممارسة حرفة يدوية حتى بلوغهم سن الرشد، وفي عام ١٧١٥، صدر تشريع في كارولينا الشمالية يُلزم التلمذة المهنية، لقد كانالتعليم المهني جزءًا لا يتجزأ من النظام التعليمي في المستعمرات الثلاثة عشر، واولوه اهميه توازي التعليم الاساسي ومهارات القراءة والكتابة (Davies, 1956, p. 37).

خامساً: التعليم والعبودية – تعليم المستعبدين والأفارقة الأحرار

شكّلت العبودية أحد المكونات الأساسية في الحياة الاقتصادية والاجتماعية للمستعمرات الأمريكية، وخصوصًا في الجنوب. وقد أثّر هذا النظام العنصري بعمق في فرص التعليم المتاحة للأفارقة، سواء المستعبَدين أو الأحرار. ولم يُنظر إلى تعليم المستعبَدين كأولوية، بل غالبًا ما حُظر بشكل صريح خوفًا من أن يؤدي إلى التمرد أو المطالبة بالحرية (Woodson, 1915, p. 63).

ففي معظم المستعمرات، خصوصًا في الجنوب، كانت القوانين تمنع تعليم المستعبدين، وتفرض عقوبات على من يُعلّمهم القراءة أو الكتابة. ورغم هذه القيود، ظهرت مبادرات فردية من بعض رجال الدين أو الملاك الذين آمنوا بأهمية التبشير الديني وتعليم المبادئ المسيحية للمستعبَدين (Berlin, 1998, p. 24).

اذ سُمح في بعض الأحيان بتعليم المستعبَدين القراءة من أجل دراسة الكتاب المقدس. وكانت بعض الكنائس تُدرّسهم المبادئ المسيحية على أمل أن يؤدي ذلك إلى طاعتهم لأسيادهم. لكن هذا النوع من التعليم كان محدودًا ومراقبًا، ولم يكن يهدف إلى تمكين المستعبَدين ثقافيًا أو اجتماعيًا (Raboteau, 2004, p. 62).

اما تعليم الأطفال الأحرار من أصول إفريقية فقد كان هناك وجود محدود لأفارقة أحرار في بعض المستعمرات، لا سيما في الشمال. وقد حظي أطفالهم بفرص متواضعة في التعليم، سواء من خلال المدارس العامة أو الخاصة، أو عبر الكنائس. إلا أن العنصرية والتمييز قلّصا من إمكانياتهم التعليمية مقارنة بالبيض (Litwack, 1961, p. 43).

وظهرت بعض المبادرات الفردية من دعاة إلغاء العبودية الذين أنشأوا مدارس سرية أو شبه علنية لتعليم الأطفال المستعبَدين أو الأحرار. كانت هذه المبادرات مخاطِرة، وتعرّض أصحابها أحيانًا للاضطهاد أو العقاب

القانوني (Nash, Forging Freedom: The Formation of Philadelphia's Black Community, 1720–1840, 1988, p. 37).

مما تسبب بغياب التعليم النظامي للمستعبَدين الذي ادى بدوره إلى تكريس الجهل كوسيلة للسيطرة والاستعباد. وقد ترك ذلك أثرًا طويل المدى على المجتمعات الإفريقية الأمريكية، حيث ظل التعليم لفترة طويلة بعد الاستقلال حكرًا على البيض أو الطبقات العليا (Anderson, 1988, p. 43).

مثّل التعليم في ظل العبودية ميدانًا للتمييز والفصل العنصري، إذ حُرم ملايين المستعبَدين من الحق الأساسي في التعلم. وعلى الرغم من بعض الجهود الفردية لتجاوز هذا الواقع، فإن النظام الاستعماري رسّخ قيودًا صارمة حالت دون نشر التعليم في أوساط السود. سيكون لهذا الحرمان أثر طويل الأمد على تطور التعليم في مرحلة ما بعد الاستقلال.

سابعاً: التعليم والمرأة – الفرص والقيود التعليمية على الفتيات

شكّلت قضية تعليم الفتيات في المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشر ميدانًا مهمًا للصراع بين التقاليد الدينية والثقافية من جهة، والمتطلبات الاجتماعية والاقتصادية من جهة أخرى. فقدُ واجه تعليم الفتيات منذ البداية بتحفّظات عدة، لا سيما في البيئات المحافظة، وكان يُنظر إليه بوصفه ترفًا أو أمرًا ثانويًا مقارنة بتعليم الذكور. إلا أن عوامل عديدة دفعت ببطء نحو فتح أبواب التعليم أمام الفتيات، وإنْ كان بصورة جزئية وغير متساوية (Kerber, 1980, p. 69).

كان يُنظر إلى تعليم الذكور على أنه ضرورة لتأهيلهم للقيادة، التجارة، والدين، بينما اقتصر تعليم الفتيات غالبًا على المهارات المنزلية أو المبادئ الدينية البسيطة. هذا التصور تأثر بالفكر الديني البروتستانتي الذي رأى دور المرأة في الأسرة والتنشئة، لا في المجال العام (Norton, 1980, p. 54).

تميّزت مستعمرات نيو إنجلاند ببعض الانفتاح النسبي على تعليم الفتيات، خاصة في أواخر القرن السابع عشر وبدايات القرن الثامن عشر. أُنشئت "مدارس الفتيات الصيفية" (Dame Schools) التي تولتها نساء في المنازل، وركزت على تعليم القراءة والكتابة والحساب الأساسي، إضافة إلى الدروس الدينية. ومع ذلك، ظلت هذه المدارس محدودة من حيث المنهج والزمن المخصص للدراسة (Norton, 1980, p. 55).

امال في المستعمرات الوسطى، كان هناك تنوع إثني وديني أكبر، مما أنتج تفاوتًا في تعليم الفتيات. بعض الطوائف كالكويكرز شجعت على تعليم الفتيات والذكور معًا، في حين كانت مستعمرات الجنوب أقل انفتاحًا، وركّزت على تعليم أبناء الطبقة الأرستقراطية، بينما استُبعدت الفتيات والفئات الفقيرة من التعليم المنهجي (Ulrich, 1990, p. 67).

كان حصول الفتاة على التعليم مرتبط بانتمائها الطبقي والديني. فقد كانت بنات العائلات الثرية قادرات أحيانًا على تلقي التعليم في المنازل أو استقدام مدرسين خصوصيين. كما ساهمت بعض الكنائس في نشر التعليم للفتيات بدافع ديني، وإن كان ذلك في إطار محدود وتوجيهي يكرّس أدوارًا نمطية (Norton, 1980, p. 60).

لم تكن هناك قوانين تدعم تعليم الفتيات كما كان الحال مع تعليم الذكور. بل إن التشريعات التي أُقرت غالبًا تجاهلت الفتيات تمامًا، أو تركت أمر تعليمهن للعائلات والكنائس. كما لعبت الأعراف الاجتماعية والقيود الثقافية دورًا كبيرًا في الحد من توسع تعليم الإناث (Welter, 1966, p. 154).

كان تعليم الفتيات في المستعمرات الأمريكية خطوة بطيئة وغير منتظمة نحو المساواة. وعلى الرغم من بعض المبادرات والنجاحات الفردية، ظل التعليم حكرًا على الذكور بدرجة كبيرة، وتم تقييد تعليم الفتيات في إطار ديني وأخلاقي. ولكن البذور التي زُرعت في هذه المرحلة ستثمر لاحقًا في الحركات النسوية والتعليمية في القرنين التاسع عشر والعشرين (Welter, 1966, p. 171).

وعلى الرغم من ذلك برزت بعض النساء المتعلمات في المستعمرات كمثال على إمكانية التعليم للمرأة، مثل آن برادستريت (Anne Bradstreet)، أول شاعرة نشرت أعمالها في أمريكا، ومرسي أوتيس وارن (Mercy Otis Warren)، الكاتبة والسياسية. كذلك ادت النساء دورًا في تأسيس المدارس الصغيرة داخل المجتمعات المحلية (Zagarri, 2007, p. 32).

ثامناً: التعليم والطبقات الاجتماعية – التفاوت الطبقي في فرص التعلم

شكّل التفاوت الطبقي أحد أبرز المحددات التي أثرت في مسار التعليم في المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشر. فبينما نُظر إلى التعليم كأداة للنهوض الفردي والاجتماعي، ظلت فرص الوصول إليه مرتبطة بالثروة

والنسب والانتماء الطبقي، مما عزز الفجوات المجتمعية وكرّس الامتيازات التعليمية للأغنياء والنخب (Bailyn, 1960, p. 99).

تمتعت العائلات الثرية، خاصة في المستعمرات الجنوبية، بامتيازات تعليمية شملت إمكانية إرسال أبنائهم إلى مدارس داخلية مرموقة أو إلى أوروبا لاستكمال الدراسة، كما وظّفوا معلمين خصوصيين داخل منازلهم. كان التعليم بالنسبة لهؤلاء أداة لتأهيل الأبناء لتولي المناصب الإدارية والسياسية والكنسية (Bailyn, 1960, p. 100).

اما الطبقة الوسطى، شهدت تطلعًا أكبر للحصول على التعليم رغم محدودية الموارد. لا سيما في المستعمرات الوسطى ونيو إنجلاند،. اذ أسهم الحرفيون والتجار في تأسيس المدارس المجتمعية، وسعوا إلى تعليم أبنائهم القراءة والحساب لأغراض تجارية ودينية. هذا الجهد ساهم في نشوء ما يسمى بـ "ثقافة العمل والتعليم" (Nash, Forging Freedom: The Formation of Philadelphia's Black Community, 1720–1840, 1988, p. 65).

في حين عانت الطبقات الفقيرة من نقص حاد في فرص التعليم. فالأطفال من هذه الطبقات غالبًا ما اضطروا للعمل في سن مبكرة، مما حال دون التحاقهم بالمدارس. كما كانت تكاليف التعليم، وإن كانت رمزية أحيانًا، تشكل عائقًا كبيرًا (Monaghan, 2005, p. 81).

وقد ظهرت مبادرات الخيرية والتعليم المجاني لمواجهة هذا الواقع من قبل الكنائس والجمعيات الدينية، خاصة في نيو إنجلاند، لتوفير التعليم للفقراء. وأُنشات مدارس مجانية للأطفال غير القادرين، وبرزت مدارس الأحد كوسيلة لنشر القراءة والكتابة من خلال النصوص الدينية. ورغم محدودية هذه المبادرات، فإنها مهّدت الطريق لاحقًا لفكرة التعليم العام (Bailyn, 1960, p. 106).

التعليم كأداة للصعود الطبقي وتأثير الاقتصاد عليه

سعت بعض العائلات الفقيرة إلى كسر دائرة الفقر عبر الاستثمار في تعليم أبنائها، وإن كان ذلك بوسائل متواضعة. وقد نجح بعض الأفراد في استخدام التعليم كوسيلة للصعود الاجتماعي، خاصة في المجتمعات التي بدأت تتبنى معايير ميريتوقراطية (meritocratic) اعتمدت على الكفاءة لا النسب. (Monaghan, 2005, p. 87)

اما في المستعمرات الجنوبية ذات الاقتصاد الزراعي الإقطاعي، قلّت فرص التعليم لأبناء الفقراء مقارنة بالمستعمرات الشمالية التي اعتمدت على التجارة والحرف. إذ إن الاقتصاد التجاري تطلب مهارات حسابية ومعرفية أكبر، مما شجّع على التعليم العام في المدن التجارية مثل بوسطن وفيلادلفيا (Nash, Forging Freedom: The Formation of Philadelphia's Black Community, 1720–1840, 1988, p. 66).

لقد كان التفاوت الطبقي عاملاً حاسمًا في تحديد فرص التعليم في المستعمرات الأمريكية. وبينما استفاد الأغنياء من نظم تعليمية متقدمة وخاصة، بقي أبناء الطبقات الدنيا محرومين أو مقتصرين على تعليم محدود. ومع ذلك، ساهمت مبادرات فردية وجماعية في دفع فكرة التعليم نحو مزيد من الشمولية، لتشكل أساسًا لفكرة التعليم العام في أمريكا لاحقًا (Nash, Quakers and Politics: Pennsylvania 1681–1726, 1968, p. 54).

الخاتمة

إنّ دراسة التعليم في المستعمرات الأمريكية الثلاثة عشر قبل الاستقلال تكشف عن الدور العميق والمعقد الذي أدته المؤسسات التعليمية في تشكيل ملامح المجتمع الأمريكي الحديث. فقد كانت المدارس أكثر من مجرد أماكن لتعليم القراءة والكتابة؛ بل كانت أدوات فكرية وسياسية، ومختبرات لصياغة القيم والأفكار التي أسهمت في تحفيز الثورة وتشكيل الهوية القومية الجديدة.

وساعد التعليم على ترسيخ مفاهيم مركزية مثل "الفضيلة الجمهورية"، و"الحرية"، و"المواطنة الفعالة"، مما جعل منه أحد الأسس التي قامت عليها الجمهورية الأمريكية الجديدة. وقد أظهرت المدارس كيف يمكن للمؤسسة التربوية أن تساهم في إنتاج وعي جمعي وتوجيهه نحو أهداف سياسية واجتماعية.

رغم التغيرات الكبرى التي عرفها النظام التعليمي الأمريكي بعد الاستقلال، فإن الكثير من ملامحه بقي مرتبطاً بجذوره الاستعمارية، سواء من حيث البنية المؤسسية، أو الطابع الأخلاقي والديني للمناهج، أو حتى الفجوات الطبقية والعرقية في توزيع التعليم.

وكان التعليم في المستعمرات مشروعاً أيديولوجياً بامتياز، سعى لتشكيل المواطنين وفق رؤى النخب السياسية والدينية. وقد استمر هذا الدور في النظام الجمهوري بعد الاستقلال، بل تعززت الوظيفة السياسية للمدرسة كمؤسسة للضبط الاجتماعي والثقافي.

رغم الإسهامات الغنية للتعليم الاستعماري، تبقى جوانب من التجربة محدودة أو إقصائية، خصوصاً فيما يتعلق بتعليم النساء، والسود، والفقراء. ومع ذلك، فإن هذه الفجوات نفسها كانت محفزاً لاحقاً لنمو حركات إصلاحية كبرى، سعت إلى توسيع أفق التعليم ليشمل الجميع.

وساعد التعليم على ترسيخ مفاهيم مركزية مثل "الفضيلة الجمهورية"، و"الحرية"، و"المواطنة الفعالة"، مما جعل منه أحد الأسس التي قامت عليها الجمهورية الأمريكية الجديدة. وقد أظهرت المدارس كيف يمكن للمؤسسة التربوية أن تساهم في إنتاج وعي جمعي وتوجيهه نحو أهداف سياسية واجتماعية.

رغم التغيرات الكبرى التي عرفها النظام التعليمي الأمريكي بعد الاستقلال، فإن الكثير من ملامحه بقي مرتبطاً بجذوره الاستعمارية، سواء من حيث البنية المؤسسية، أو الطابع الأخلاقي والديني للمناهج، أو حتى الفجوات الطبقية والعرقية في توزيع التعليم.

كان التعليم في المستعمرات مشروعاً أيديولوجياً بامتياز، سعى لتشكيل المواطنين وفق رؤى النخب السياسية والدينية. وقد استمر هذا الدور في النظام الجمهوري بعد الاستقلال، بل تعززت الوظيفة السياسية للمدرسة كمؤسسة للضبط الاجتماعي والثقافي.

رغم الإسهامات الغنية للتعليم الاستعماري، تبقى جوانب من التجربة محدودة أو إقصائية، خصوصاً فيما يتعلق بتعليم النساء، والسود، والفقراء. ومع ذلك، فإن هذه الفجوات نفسها كانت محفزاً لاحقاً لنمو حركات إصلاحية كبرى، سعت إلى توسيع أفق التعليم ليشمل الجميع.

نستخلص من هذا البحث ان التعليم في المستعمرات لم يكن محايداً أو بريئاً؛ بل كان مشروعاً موجهاً لخدمة أهداف معينة. لكنه في الوقت ذاته أسّس لقيم بقيت جوهرية في الفكر الأمريكي: كحرية الفكر، والمشاركة السياسية، والحق في التعلم. ومن هذا المنظور، فإن دراسة هذه المرحلة ليست مجرد استرجاع لتاريخ تربوي، بل هي محاولة لفهم الجذور العميقة للنظام التعليمي الأمريكي، بكل ما فيه من إمكانات وإشكاليات.

قائمة المصادر

- محمد أبو زيد. (2010). *الهوية الوطنية والتعليم: دراسة مقارنة*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- محمد منير إبراهيم. (1997). *التعليم في أمريكا: دراسة تحليلية*. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- Altenbaugh, R. J. (1999). *Historical Dictionary of American Education.* new york: Greenwood Press.
- Anderson, J. D. (1988). *The Education of Blacks in the South, 1860–1935*. North Carolina: University of North Carolina Press.
- Apple, M. W. (1979). *Ideology And Curriculu.* Routledge.
- Apple, M. W. (1990). *Ideology and Curriculum.* new york: Psychology Press.
- Bailyn, B. (1960). *Education in the Forming of American Society.* North Carolina: UNC Press.
- Berlin, I. (1998). *Many Thousands Gone: The First Two Centuries of Slavery in North America*. Harvard University Press.
- Brands, H. W. (2000). *The First American: The Life and Times of Benjamin Franklin.* Anchor Books.
- Breen, T. H. (1980). *The Education of the Early Southern Colonies.* Virginia Historical Review.
- BTolles, F. (1948). *Meeting House and Counting House: The Quaker Merchants of Colonial Philadelphia, 1682–1763.* UNC Press.
- Butler, j. (2000). *Becoming America: The Revolution Before 1776.* london: Harvard University Press.
- cliffe, T. (2002). *Puritan Gentry Besieged 1650–1700*. new york: Routledge.
- Cremin, L. A. (1970). *American Education: The Colonial Experience 1607–1783*. New York: Harper & Row.
- Davies, M. G. (1956). *The Enforcement of English Apprenticeship: A Study in Applied Mercantilism.* Mass: Harvard University Press.

- Fisher, D. W. (2010). *Princeton University: Its Early Years.* American Educational History Review.
- Gilmore, D. (2007). *The Founding of the University of North Carolina.* Gilmore, (). "." : Southern Education History Review.
- Green, P. J. (2009). *Benjamin Franklin and the Development of Public Education in Colonial America.* Journal of American History.
- Gutek, G. (1970). *An Historical Introduction to American Education.* New York: Thomas Y. Crowell Company.
- Hall, D. D. (1990). *Worlds of Wonder Days of Judgment: Popular Religious Belief in Early New England.* Harvard University Press.
- Henderson, D. E. (2003). *Early Education in Colonial South Carolina.* The South Carolina Journal of History.
- Jefferson, T. (1818). *Report Of The Commissioners Appointed To Fix The Site Of The University Of Virginia.*
- Kaestle, C. F. (1983). *Pillars of the Republic: Common Schools and American Society, 1780–1860.* New York: Hill and Wang.
- Kerber, L. K. (1980). *Women of the Republic: Intellect and Ideology in Revolutionary America.* UNC Press.
- Labaree, D. F. (1988). *The Making of an American High School: The Credentials Market and the Central High School of Philadelphia 1838–1939.* New Haven: Yale University Press.
- Leinwand, G. (1992). *Public Education.* New York: Facts on File Books.
- Lemisch, J. (1968). *Jack Tar vs. John Bull: The Role of New York's Seamen in Precipitating the Revolution.* William and Mary Quarterly.
- Litwack, L. F. (1961). *North of Slavery: The Negro in the Free States, 1790–1860.* Chicago: University of Chicago Press.

- Monaghan, E. J. (2005). *Learning to Read and Write in Colonial America.* Massachusetts: University of Massachusetts Press.
- Morison, S. E. (1936). *Harvard University: Its Role in the Education of Early America.* Harvard University Press.
- Nash, G. B. (1968). *Quakers and Politics: Pennsylvania 1681–1726.* Princeton University Press.
- Nash, G. B. (1988). *Forging Freedom: The Formation of Philadelphia's Black Community, 1720–1840.* Harvard University Press.
- Norton, M. B. (1980). *Liberty's Daughters: The Revolutionary Experience of American Women, 1750–1800.* Cornell University Press.
- Pearson, J. T. (2004). *The Development of Education in Colonial New England.* Cambridge University Press.
- Raboteau, A. J. (2004). *Slave Religion: The "Invisible Institution" in the Antebellum South.* Oxford University Press.
- Reese, W. J. (2005). *America's Public Schools: From the Common School to "No Child Left Behind".* baltimor: Johns Hopkins University Press.
- Reich, R. (2011). *Boston's Secondary Schools and Their Role in the Development of New England Education.* Journal of Educational History.
- Reich, R. A. (2011). *The Evolution of Education in Pennsylvania.* The Pennsylvania Journal of History.
- Rudolph, F. (1990). *The American College and University: A History.* Georgia: University of Georgia Press,.
- Smith, B. G. (1990). *The Lower Sort: Philadelphia's Laboring People 1750–1800.* Cornell University Press.
- Snyder, A. M. (2015). *The Beginnings of Public Schools in New York City.* New York History Journal.

- *The New England Primer: Twentieth Century Reprint.* (1901). Ginn & Company.
- Ulrich, L. T. (1990). *A Midwife's Tale: The Life of Martha Ballard, Based on Her Diary, 1785–1812.* Vintage Books.
- Welter, B. (1966). The Cult of True Womanhood: 1820–1860. *American Quarterly, vol. 18, no. 2*.
- Woodson, C. G. (1915). *The Education of the Negro Prior to 1861.* Associated Publishers.
- Zagarri, R. (2007). *Revolutionary Backlash: Women and Politics in the Early American Republic.* Pennsylvania : University of Pennsylvania Press.